

هذا أكثرها ذكراً^(١) واشتهاراً، وأغزرها معنى وازدهاراً إذ يعني جملة ما تعنيه هي تفصيلاً، وهو يعني في مختلف معانيه: الجمع - الطهارة - التطهير - القراءة - الإبلاغ - الرؤية - اقتراب المغيب: معان سبعة كالسماوات السبع والأرضين السبع وأيام الأسبوع السبعة، حيث يشمل بمعانيه جملة وتفصيلاً الأزمنة والأمكنة ومن فيهما.

فإنه طهارة - فتطهير - وقراءة وإبلاغ - ورؤية لما يمكن أن يرى بصراً وبصيرة، وجمع لما لم يجمعه غيره من كتابات واقتراب لاغتراب غيره من كتابات كما إنه من آيات اقتراب الساعة ونبيه نبي الساعة.

وترى لماذا هنا وفي عديد غيرها ﴿هَذَا الْقُرْآنَ﴾ حيث توحى بأن هناك قرآناً أو قرائن أخرى، وفي عديد أخرى «القرآن» والقرآن هو القرآن؟

لأن «قرآن» من الله هو جنس المقروء بالوحي كتاباً على المكلفين، شاملاً كتابات الوحي كلها، وأفضلها هذا القرآن، فقد يعرف بـ «هذا» ليدل على حاضره دون غابره، و«هذا» في موارده كلها يتضمن ميزة أو ميزات له عن سائر القرآن^(٢) وقد تدل على عمومته لسائر الوحي:

= الروح - البيان - التبيان - المبين - الفصل - النجوم - القصص - البصائر - المثاني - النعمة - البرهان - البشير - النذير - القيم - المهيمن - الهادي - النور - الحق - العزيز - الكريم - العظيم - المبارك - بلاغ - سبيل - حياة

(١) نجده (٧٠) مرة اثنتان منهما قرآن الفجر: صلاة الفجر - واثنتان: قرآته: قراءته - والباقي هذا القرآن.

(٢) ك ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧] ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: ٣] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا﴾ [الإسراء: ٤١] ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٨٨] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُذُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [النمل: ٧٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾ [سبأ: ٣١].

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ...﴾ (١)
 ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٢).

إذاً فلا بد من تعريف به ليميزه عن غيره بـ «هذا» أو «العظيم» ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٣) أو تعريف اللام عهداً إلى حاضره حيث يخاطبهم به: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ...﴾ (٤) أو بضمير يعرفه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ...﴾ (٥) أو وصف: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (٦) أم ماذا من إشارة تميزه عن سواه ويختص ﴿هَذَا الْقُرْآنُ﴾ هنا بما يعرفه أنه ﴿يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ من قوامات الوحي وقيامات صاحب الوحي والمكلفين به.

و«قرآن» مع كل ذلك علم لهذا القرآن، لم يسم به غيره من قرآن وإن كان يشمل جنسه، وهو أفضل وأكثر أسماء القرآن.

ثم هنا هادٍ ومهدي ومهدي له وبشارة لمن يهتدي وإنذار على من لا يهتدي، فالهادي هو القرآن حيث الهدى طبيعته وحالته وصياغته لأعلى قمم الهدى، دون إبقاء على هدى ممكنة إلا وهو يهدي لها غير قاصر ولا ضنين.

والمهدي هو على الإطلاق كل مكلف بحاجة إلى هدى، وبإمكانه أن يهتدي بلا حدود من زمان أو مكان أو أقوام وأجيال فإنه هدى الله والهدى الإلهية في القرآن كاملة شاملة.

(١) سورة يونس، الآية: ١٥.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣١.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٥) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٦) سورة الحجر، الآية: ١.

والمهدي له، وترى لماذا «له» دون «إليه» أم دون جارك ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؟ . . . ثم «التي» بحذف الموصوف المتردد بين عديد ك: الطريقة - الشريعة - الملة - الرسالة - الولاية أم ماذا؟ ولا يحذف الموصوف الا المعلوم لحد لا يحسن ذكره بل ويحسن حذفه؟.

نجد الهداية في القرآن في هذا المثلث، وليس «يهدي له» إلا هنا لكتاب الله، وفي أخرى لله: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١) (٢) ثم لا ثالث لهما، فإنما الله وكتاب الله يهدي له لا سواه، فلتكن «الهداية له» خاصة بالله بقرآنه المبين.

ثم الله وإن كان يهدي بالقرآن من اتبع رضوانه سبل السلام ويهديهم إلى صراط مستقيم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ (٣) هداية إياه وهداية إليه، إلا أن أيًّا منهما لا يشمل مطلق الهدى، والهداية له تشمل كله، فالهداية «إلى» دلالة إلى الهدى الآفاقية البعيدة عن المهدي إذ هي خارج ذاته، أو الأنفسية البعيدة عنها كآفاقية لمن احتجب عن نفسه بعيداً (٤)، والهداية إياه إيصال إلى المقصود آفاقية وأنفسية أو يقارب الإيصال لمكان القرب بين المهدي

(١) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٢) ومن الطريف أن ﴿يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] الخاصة بالله تتوسط ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] لغير الله أو لاها ﴿شُرَكَائِكُمْ﴾ [يونس: ٣٤] سؤال تعنت، وأخراها لكافة الهداة إلى الحق حيث تجمعهم ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] فليس تغيير صيغة الهداية مجرد تفنن التعبير وإنما لخصوص المعني من «له» و«إليه».

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١٥-١٦.

(٤) لأن «إلى» توحى لفصل بين المهدي والمهدي إليه، والهدى الأنفسية ليست بعيدة عن المهدي.

والمهدي له لحد الاتصال^(١). والهداية له تشمل الإيصال والدلالة إلى الأنفسية والآفاقية قريبة وبعيدة، دلالة إلى ما في النفس من هدى العقل والفطرة أم ماذا؟ وإيصالاً إلى حقها وواقعها، ودلالة إلى ما في الآفاق تكويناً وتشريعاً وإيصالاً إليها فالهداية له - إذاً - أتم وأطم من الهداية إليه وإياه^(٢) فما أطفه التعبير عن الهداية المطلقة بـ «يهدي إياه» وعن الدلالة المؤثرة وسواها بـ «يهدي إليه» وعن مجموع الهدايات بـ «يهدي له» الشاملة لكافة مراحل الهداية مستغرقة لها كلها! ولأن هذه الآية هي الفريدة في نوعها للهداية الشاملة فلتشمل الهدى كلها، دلالة وإيصالاً للهدى أنفسية في هداية العقل والفطرة، وآفاقية في هداية التكوين والتشريع، فالقرآن نسخة كاملة للهدى كلها حيث يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام.

إنه هدى للكافرين كما للمؤمنين دلالة، وهدى للمتقين في مزيد الدلالة ثم الإيصال إلى حق الهدى، ثم وهو هدى للإنسان وأضرابه آفاقياً وأنفسياً. وأما «التي» بحذف الموصوف فلإيحاء بإطلاق المهدي له، دون خصوص الملة أو الطريقة أو الرسالة أو النبوة أو الولاية أماهيه؟^(٣).

فإنه هدى بكل بنودها ومتطلباتها للإنسان وأضرابه كأفضل ما يمكن وأكمله في عالم الفطرة والعقل، وفي التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه وبينه

(١) حيث الهداية إياه توحى إلى وحدة عريقة بين المهدي والمهدي له دون فصل بينهما، أما حقيقاً ما الإيصال ويشارفه كالقريب القريب.

(٢) حيث الهداية له، واللام للاختصاص أعم من الدلالة الخاصة والإيصال الخاص إلى مادة الهدى آفاقية وأنفسية، فالهداية إياه هي «له» والهداية إليه كذلك «له» كما الهداية الآفاقية والأنفسية كلاهما «له» وإن كانت «له» مراتب عدة.

(٣) كالسبل والآيات الآفاقية والانفسية (٣) والأخلاق (٤) والحياة (٥) وأحكام الفطرة والعقل (٦) والإيمان (٧) والإسلام (٨) والتقوى (٩) والزهادة (١٠) والمعرفة والمعجزة (١١) مواد الهداية التي تدعو إليها كتابات الوحي، فكل هذه الموصوفات تصلح أن تكون للتي هي أقوم دون إبقاء على مادة من الهدى إلا وهي تشملها.

وبين ربه في علاقة المعرفة والعبودية - وبينه وبين الناس في علاقة العشرة، وفي كافة زوايا الهدى ومتطلباتها وتنسيقاتها ومخلفاتها الحاضرة والمستقبلية.

﴿لَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ فكتابات الله كلها قويمه قيّمة لا عوج فيها ولا قصور، ولكنها مؤقتة زمنياً، محدودة بالمتطلبات المرسومة لزمانها، والاستعدادات لطالبيها فيها، وأما القرآن فهو يهدي للتي هي أقوم: قيمة وقوامة واستقامة وقياماً^(١) منذ بزوغه ما طلعت الشمس وغربت، فشمسه لا تغرب وما يحتاجه المهتدون به لا يعزب، فلا يقعد عن هدايته، ولا يفشل عن استقامته ولا ينقص عن قيمته وقوامته لأنه كتاب الزمن كله.

ف ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ من غيرها على الإطلاق قواماً وقياماً: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَيْمًا...﴾^(٢) فيه كافة القوامات والقيامات لحد القيامة الكبرى، لا أفول لشمسه ولا انقطاع لشرعته، لا كتاب بعد كتابه ولا رسالة بعد رسالته، حيث الأقوم يتطلب ختام الوحي بوحيه.

فهذه الآية إجمال عن مثلث الخاتمية: شريعة ورسالة وكتاباً، نجد تفاصيلها في آيات أخرى، والتي هي أقوم يشمل هذا المثلث وما معها من ملة وطريقة وولاية، والولاية المطلقة للقرآن ونبيه وأهل بيته هي أقوم الولايات طول الرسائل الإلهية، وهي كلها على هامش الولاية الإلهية^(٣).

(١) فالأقوم تتحمل كونها من القوام والقيامة والقيمة، والقرآن يهدي للتي هي أقوم في مثله دون اختصاص بأحدها.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.

(٣) في تفسير العياشي عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية قال: «يهدي إلى الولاية» أقول: وهي تشمل الولايات كلها ومنها ولاية الأئمة التي هي ثالث مراتبها بعد ولاية الله والرسول عليه السلام وقد يفسر بولاية الإمام بياناً لثالث مصاديقها لأنه مختلف فيها حتى يلحق بولاية الرسول، ومن ذلك ما في حديث سلسلة الذهب، يرويه ابن بابويه بإسناده عن عياش =

ثم القرآن ليس ليهدي للتي هي أقوم هداية المعرفة والإيصال إلى الحق إلا لمن اتخذه دليلاً بحق وكما عن الإمام علي عليه السلام: «أيها الناس إنه من استنصح الله وفق، ومن اتخذ قوله دليلاً هدي للتي هي أقوم»: دليل المعرفة والعمل الصالح ثم يبشره:

ومراتب الهدى القرآنية آخذة من العلمية إلى العقيدية إلى العملية التطبيقية. والأخيرة هي المبشر لها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

ومراحل العلم القرآني «على أربعة أشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء»^(١).

ومراتب عقيدة اليقين ثلاث: علم اليقين - عين اليقين - حق اليقين.
ومراتب العمل تنحو مراتب العلم واليقين. كلما ازداد ازداد وكلمما نقص نقص.

والدلالة القرآنية ثلاث: دلالة التعبير في مراتبها، ثم دلالة الاهتداء، ثم الإيصال إلى المطلوب: الصراط المستقيم... ومما توحىه آية الأقوم أن هذا القرآن هو المتن الأعلى للإسلام وما سواه من أحاديث ليست إلا على هامشه إن وافقه فليكن متناً متيناً مكيناً في الحوزات العلمية الإسلامية وفي كافة الحقول.

= ابن يزيد مولى زيد بن علي، قال حدثني أبي قال حدثني موسى بن جعفر... وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: الإمام منا لا يكون إلا معصوماً وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون إلا منصوباً فليل له: يا بن رسول الله ﷺ! فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة فالإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي الإمام وذلك قول الله ﴿وَإِن هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وروي تفسيره بالإمام بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً.
(١) سفينة البحار يرويه الإمام الحسين عن أبيه علي أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن التي هي أقوم في هدي القرآن إعجازها، حيث الآية الرسالية فيه أقوم الآيات إذ تعيش الزمن ويعيشها الزمن دون حاجة إلى آية أخرى.

ومنها السياسة القرآنية التي تقود دولة عالمية على طول الزمن كما يقودها القائم المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمن.

ومنها الحقوق القرآنية التي تحلق على كافة الحقوق طول التاريخ، وتكفي معونة الحياة المتوسعة المتداخلة المتشابكة المتشاكسة.

ومنها الملاحم الغيبية والإنبياءات المستقبلية التي توقظ النُّوم وتنبه النابيهين كي يكونوا على أهبة وحذر لبناء المستقبل المجيد للدولة الإسلامية.

ومنها الاقتصاد القرآني وقد تكفي حلاً لمشكلة الاقتصاد العضال آية وحيدة منه ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١).

ومنها ومنها وقد تحدى القرآن فيما تحدى الإنس والجن ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٢): طول الزمان وعرض المكان.

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾:

يبشر من آمن بالله واليوم الآخر وما بينهما على ضوء القرآن، ويعملون الصالحات التي تصلح نتيجة للإيمان وتصلح الحياة كل الحياة على ضوء القرآن، يبشرهم قدر ما اهتموا به وآمنوا وعملوا الصالحات ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾: لا ناقصاً عما قدموا فإنه عجز وبخل، ولا مساوياً موافقاً له فإنه مثل بمثل، وليس الله مثلاً لنا حتى يؤاتينا في ثواب أعمالنا، وإنما فضلاً وإحساناً: ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أكبر مما قدموا وإن كان تسمية الثواب أجراً فضلاً

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

عن ﴿كَبِيرًا﴾ هو أيضاً أجر كبير ولطف غزير، حيث العبد لا يستحق بإيمانه وعمله الصالح أجراً من ربه، إذ لا يعود نفعه إلا إليه لا إلى ربه، إذا فأصل الثواب فضل وتسميته أجراً فضلاً وصفته كبيراً، فضل، مثلث الفضل في قول فصل .

ثم القرآن لمن لم يتخذه دليلاً لا يزيده إلا خساراً، ولا سيما الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإن كانوا مؤمنين بالله، حيث الإيمان بالله دون الآخرة لا يلزم المؤمن به بما يلتزم به المؤمن بآخرته من عمل الصالحات، ومجرد الإيمان بالله دون عمل لا ينفع حتى إذا كان إيماناً بالآخرة أيضاً:

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾:

لا يؤمنون بالحياة الآخرة ودلائلها في القرآن واضحة وفي الآفاق والأنفس لائحة! والإعتاد هو التهيئة، والعذاب الأليم يشمل ذوقه يوم الدنيا في المعيشة الضنك وفي البرزخ بوجه أكد، ثم في القيامة واقع لأليم العذاب: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى...﴾^(١): عذابات معتدة في مثلث الحياة بما قدمته أنفسهم.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١٧﴾﴾:

تأنيب بهوى الإنسان العجول الجهول التارك لهدي القرآن حيث يدعو بالشر دعاءه بالخير فستان شتان بين هدي القرآن وهدي الإنسان، حيث يهوى بعجلته فيهوي في هواة الضلال جهلاً له أو جهالة بمصادر الأمور ومصائرهما، فاستعجالاً بالشر فيما يأتي خيره باستمهال!.

والدعاء هي الطلب في مقال أو حال أو فعال، فقد يدعو ربه بالشر^(٢)

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤ .

(٢) الباء في هذا الاحتمال للتعدي حيث المفعول به فيه الله أو الرسول أم غيرهما . ودعاؤه =

دعائه بالخير: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ الْيَمْرِ﴾ (١) كنضر بن الحارث وقد أُجيب دعاؤه فضرب عنقه، ولو كانت هذه سنة دائمة لقضي عليهم باستعجالهم: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ (٢).

أو يدعو رسولاً - يكذبه - بالشر لو أنه صادق: ﴿وَسْتَعِجْلُوكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ (٣) ﴿وَسْتَعِجْلُوكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ (٤) ﴿يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ (٥).

ف «لا تدعوا على أنفسكم لا تدعوا على أولادكم لا تدعوا على أموالكم لا توافقوا الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم» (٦).

و«اعرف طريق نجاتك وهلاكك كي لا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أن فيه نجاتك» (٧).

وعلى الإنسان الذي يريد خيره أن يتطرق إليه بما يقدمه من خير على إمهال دون استعجال، حيث الخير يخلف الخير كما الشر يأتي بالشر، ولكنما الإنسان العجول الجهول قد يطلب خيره بالشر طلبه بالخير فيما هو حقاً خير، أو يطلب ما يظنه خيراً وهو شر بالشر: شراً على شر أو يطلب ما يراه شراً بالشر فهو في مثل الشر (٨).

= مفعول مطلق نوعي أي يدعو... دعاءه بالخير بالشر. مدعوه الذي يحصل بسبب الخير يدعوه بالشر.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ١١.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٧.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٦.

(٥) سورة النمل، الآية: ٤٦.

(٦) الدر المنثور ١٦٦ - أخرج أبو داود البزار عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ.

(٧) نور الثقلين ٣: ١٤١ عن مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام: ...

(٨) الباء هنا للسببية أي يدعو بسبب الشر وواسطته دعاءه بسبب الخير أو بدل دعائه بالخير، أو =

فالمستعجل برزقه الذي لا محالة آتية بعمله قد يطلبه بالشر: سرقة أو احتكاراً أو بخساً في المكيال أم ماذا؟ رغم أنه لا يصله إلا ما قدر له بعمله، وإذا ناله زائد عليه بشره فلا يناله في فائدة له إلا فاسدة كاسدة.

ولكنما الإنسان المهدي بهدي القرآن كل دعائه خير ويدعوه بخير، وفيما يجهل خيره يحتاط متروياً مستشيراً عقله وعقلاء غيره، متكلاً إلى ربه على كل حال، في كل حل وتر حال، وإذا يدعو ربه فيما يظنه أو يراه خيراً فإنما يطلبه بتأديب دون إصرار وتأكيد.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ فعجلة الإنسان بطبعه وخلقته، دون أن يعد لها فيعدّلها إلى الأصلح متأنياً، هو الباعث الأهم لدعائه بالشر دعائه بالخير لحد كأن البواعث الأخرى لا موقع لها مع ما لها من مواقعها، وما هي الصلة بين عجلة الإنسان ودعائه بالشر دعائه بالخير؟ إنها تسرع الشر وسهولة الدعاء به، وتأنى الخير وصعوبة الدعاء به فبدل أن يطلب مطلوبه الخير بالخير يطلبه بالشر استعجالاً.

وفي مربع الطلب: شراً بشر - خيراً بخير - خيراً بشر - شراً بخير نرى العجلة لائحة في مقدمات الشر إلى خير أم إلى شر^(١) وأما الخير إلى الخير فلا تأنيب فيه، والخير إلى شر كتظاهر المنافق بالزهادة حتى يكيد كيده، ففيه أشد تأنيب ولكنه لا تشمله الآية حيث تعاكسها ولا استعجال فيه.

و«الإنسان» هنا هو نوعه: من آدم وذريته^(٢) «وكان» حالة هذا النوع في كينونته العجل: فقد ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾^(٣)

= كدعائه بالخير ف«دعاه» هنا منصوب بنزع الخافض وفي الاحتمال الأول مفعول مطلق نوعي .
(١) فالأول على كون دعائه بالخير مفعولاً مطلقاً نوعياً والثاني منصوباً بنزع الخافض كدعائه - أي يطلب الشر بالشر كأنه يدعو بالخير .

(٢) فلو كان المقصود هنا آدم لقال آدم فإنه علم له، ولو كان ذريته لقال بنو آدم، وأما الإنسان أو البشر فهو يشمل هذا الجنس من آدم أبي البشر ومن سائر البشر .

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٧ .